آراء وأنباء

مجمعي افتقدناه

المرحوم الدكتور حكمة هاشم

الأستاذ عبد الهادي هاشم

في التاسع والعشرين من حزيران ١٩٨٢ م (٨ / ٩ / ١٤٠٢ هـ) ذهب فجأة الى لقاء ربه المفكر والعالم المجمعي الدكتور حكمة هاشم ، ففقد مجمع اللغة العربية بدمشق بوفاته رجلاً فذّاً من رجالاته ، وعَلَماً متميزاً من أعلام الفكر في هذا العصر ، وعالماً من أنضج علماء هذا الوطن العربي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولـــد الفقيـــد في دمشـــق ، في آخر يـوم من أيـــام العـــام ١٩١٣ م (٢ / ٢ / ١٣٣٢ هـ) في أسرة محافظة عرف الكثيرون من أبنائها بالتفقّه في الدين والتبحّر في اللغة . فعبّ قدراً وافياً من الثقافة الاسلامية من صغره ، وتخرّج بطائفة من الشيوخ والعلماء من رجالات ذلك العصر ، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية في بعض معاهد دمشق العربية والأجنبية دخل الجامعة السورية (جامعة دمشق اليوم) ونال شهادة مدرسة الأدب العليا واجازة كلية الحقوق في الثلاثينيات ، ثم أوفدته الحكومة السورية إلى باريز لدراسة الفلسفة في جامعتها (السوربون) . وحالت الحرب العالمية الثانية دون عودته الى بلده بعد أن نال الاجازة في الفلسفة ، فانصرف الى تعمق دراسة الفلسفة الاسلامية والاطلاع على ذخائر المخطوطات العربية المحفوظة في دار الكتب الوطنية في باريز ، ونال دكتوراه الدولة من السوربون بدرجة الشرف الممتازة عام ١٩٤٦ . وكان يقوم أثناء ذلك بالتدريس في المدرسة القومية للغات الشرقية الحية . ثم عاد الى دمشق فسمّي أستاذاً للتربية وعلم النفس الاجتماعي في كلية الآداب في الجامعة السورية ، ثم اختير عميداً للمعهد العالي للمعلمين (كلية التربية اليوم) .

وفي غضون ذلك ، انتُخب الفقيد عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٥٣ خلفا للعلامة المرحوم الأستاذ محسن الأمين العاملي ، وقد استقبله باسم المجمع شاعر الشام الأستاذ المرحوم شفيق جبري في جلسة عامة عقدت في ٢٥ / ٣ / ١٩٥٤ ، وكان مما قاله يومئذ يخاطبه : (. . . لقداجتمعتْ فيك قوتان : قوة شرقية وقوة غربية ، أخذتَ عن العرب هذه اللغة التي أحببتَها حباً جمّاً ملأ شعورك . . . وأخذتَ عن الغرب هذه النظرة الصادقة الى الحياة وهذا التفكير القوي . .)

أصاب الفقيد في عمله العلمي والاداري نجاحاً بوّأه منصب مدير جامعة دمشق (تشرين الأول ١٩٥٨)ثم اعتزل العمل الرسمي في بلده لخلاف سياسي بينه وبين أولي الأمر يومئذ ، فدعته جامعة محمد الخامس في الرباط للتدريس فيها ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

واستجاب لدعوتها وقضى في التدريس فيها أمداً نعم فيه بالهناء والغبطة ، ثم رغبت اليه منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) في أن يرأس بعض بعثاتها إلى الجزائر وليبيا ، وقضى في مهمته هذه سنوات . ثم لما اعتزل العمل في هذه المنظمة أقام في باريز وعاود ارتياد دار الكتب الوطنية فيها والتنقيب في مخطوطاتها العربية مما كان قد بدأ فيه قبل لواذ خمسة وثلاثين عاماً أنفقها في التدريس والبحث والمحاضرة متنقلاً في كثير من البلاد العربية والأجنبية . وقد أخذ في أيامه الأخيرة يوافي إحدى المجلات العربية الرصينة برسالته الثقافية التي كان قراؤها يترقبونها ويحرصون على مطالعتها بكثير من الشوق والتلهف ، إذ كانت تقفهم على كثير مما يجدّ في مجالات المعرفة الغربية من مستحدثات فكرية وأدبية وعلمية .

وقد عجّل في وفاته ، فيما يقول خلصاؤه الأقربون ، ما حلّ بلبنان من محن أليمة وأحداث دامية كانت أنباؤها تقضّ مضجعه وتنغص عليه صفو أيامه .

ساهم الفقيد في الكثير من الندوات الفكرية وحاضر في بعض الجامعات العربية والغربية بالعربية والفرنسية ، وشارك في بعض اللقاءات والمؤتمرات الثقافية والفكرية في مشرق الوطن العربيّ ومغربه وفي بعض البلدان الأوربية والأميركية ، ونشر في شتى المجلات كثيراً من المقالات والبحوث . وفي أسلوبه الكتابي والخطابي جزالة وأصالة وإحكام قلّ من يضارعه فيها ، هذا إلى التزام بالفكر العلمي الموضوعي ، وصدع بالحكم السديد الراجح ، وترفّع عن الهوى والتحيّز لرأي لم يقم عنده الدليل القاطع على صحّته ، ولو لقي في سبيل ذلك عنتاً وضراً .

لم ينشر الفقيد الكثير من التصانيف ، ولكنّ ما بين أيدي الناس من تآليفه ينمّ عن سعة معرفته وصحة حكمه وسلامة محاكمته وجزالة أسلوبه ، وقديماً قال الشاعر العربيّ :

بُغـاث الطير أكثرها فراخاً　　وأمّ الصقرْ مقلات نزورُ

وممّا يعرف من كتبه :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(١) كتاب نقد مذهب المشائين والأفلاطونية الحديثة عند الغزالي بالفرنسية .

(٢) كتاب ميزان العمل ، وهو دراسة تحليلية وترجمة فرنسية لكتاب ذي نزعة نفسانية صوفية ، كتبه الغزالي في أواخر أيامه في الاخلاق والتصوّف ، (وقد طبع في باريز عام ١٩٤٥) .

(٣) كتاب المذاهب الفلسفية المعاصرة ، لآندره كريسون وقد ترجمه عن الفرنسية ، ونشر في مطبوعات الجامعة السورية .

(٤) كتاب المدخل إلى علم النفس الجماعي لبلونديل وقد ترجمه عن الفرنسية ونشر في دار المعارف في القاهرة .

(٥) كتاب إعداد المربّي ، وقد ألّفه بالاشتراك مع المرحومين الدكتور جميل صليبا والدكتور سامي الدروبي وطبعته وزارة المعارف السورية .

عرفتُ الفقيد منذ ستين عاماً لم تنقطع بيننا أواصر الود ، ولم تتراخ عرى المحبة ، وكنت أزداد اعجاباً به وتقديراً له عاماً بعد عام ، وذكرياتي عن الفقيد تملأ الصفحات الكثيرة ، ولكنني أحتفظ بها اليوم لنفسي ، على أنني أذكر حادثة واحدة خطرت لي وانا أكتب هذه الكلمة ، فقد عين الفقيد في مقتبل شبابه معلماً ابتدائياً في قرية صغيرة من أرياف دمشق في أول الثلاثينيات ، وجرت العادة يومئذ بأن يعرض على ناشئة الموظفين استبيان يطلب منهم فيه الاجابة عن أسئلة كثيرة منها : ماذا تودّ أن تكون في المستقبل ؟ فكان جواب معلّم القرية الفتى الناشىء دون تردّد : أريد أن أصبح أستاذاً في الجامعة وقد رأى رؤساؤه يومئذ في هذا الجواب شططاً في الطموح وفرطاً في الجموح . ولكن لم ينقضِ عقدان من السنين حتى كان معلّم القرية أستاذا (ذا كرسيّ) في الجامعة بكفايته ومقدرته وجدّه ، ثم ما لبث أن أصبح مديرا لهذه الجامعة وقد نيطت به مهمّة إعادة تنظيمها .

أختم هذه الكلمة بابيات أنشدها على قبره في باريز بُعَيد وفاته صديقه وزميلنا الدكتور أمجد الطرابلسي :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

أتيتُ يـــاحكمـــة أبكي ودّكْ أذكر عهـدي هـا هنـا وعهـدك
أبكي علينـا لا عليـك وحـدك هـذا مصيري يـا أخيّ بعـدك
مَن يـا ترى إذا قصـدتُ قصـدك يـذكر لحـدي أو يـزور لحـدك

كنّـا نقـول غربـة يـومـا لهـا انقضـاء
ثمّ نعـود حيث ننسى البعـد والشقـاء
ونلتقي في حيّنـا أهـلا وأصـدقـاء
هـاهي ذي تصرّمت وانكشف العماء
من بعـد غربـة الحيـاة غربـة الفنـاء
وهـذه يـا صـاحبي ليس لهـا انتهـاء

الأستاذ عبد الهادي هاشم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net